

الفصل الاول

الاطار العام للدراسة

- | | |
|----------|--------------------|
| أولاً : | تحديد المشكلة . |
| ثانياً : | أهمية الدراسة . |
| ثالثاً : | حدود الدراسة . |
| رابعاً : | أهداف الدراسة . |
| خامساً : | منهج الدراسة . |
| سادساً : | الدراسات السابقة . |
| سابعاً : | أعلام الدراسة . |

* خاتمة الفصل .

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة :

تعد الفلسفة المثالية من أقدم الفلسفات التي عرفها الإنسان ، وما تزال حتى اليوم لها مكانتها الهامة بين الفلسفات المعاصرة ولها خصائصها وسماتها التي تميزها عن غيرها من الفلسفات ، وإذا كانت المثالية الحديثة تعرضت للعديد من الانتقادات ، فإن المثالية المعاصرة قد عدلت وبدلت ، وإرتدت ثوباً جديداً جعلها تقف في وجه الفلسفات المادية المعاصرة فهي حاملة لواء الروح والفكر في عصر شاعت فيه الفلسفات المادية التي ترى أن جوهر العالم المادة .

وفي الفصل الأول يشير البحث إلى الإطار العام للدراسة وذلك من

خلال المحاور الآتية :

أولاً : تحديد المشكلة .

ثانياً : أهمية الدراسة .

ثالثاً : حدود الدراسة .

رابعاً : أهداف الدراسة .

خامساً : منهج الدراسة .

سادساً : الدراسات السابقة .

سابعاً : أعلام الدراسة .

أولاً : تجديد المشكلة :

وتكمن مشكلة الدراسة فى أن الكثير يتابع الفلسفات المادية لما لها من سعة إنتشار وصل إلى تبنى دول متقدمة لبعض هذه الفلسفات فى حين يتغافل الكثير من مؤرخى الفلسفة التيار المثالى المعاصر حتى لا تكاد ترى ما يكتب عنه إلا سطوراً قليلة فى فلسفة التربية وتكمن مشكلة الدراسة ، أيضاً حيث أن الكثير ينظر إلى الفلسفة المثالية على أنها تاريخ للفلسفة ، ولا يتعامل مع التيار المثالى المعاصر للفلسفة وبخاصة فى الفكر التربوى ، ولذلك تكمن مشكلة الدراسة فى الحاجة إلى التعرف على الفلسفة المثالية المعاصرة وأهم أعلامها وما تضمنته هذه الفلسفة من فكر تربوى .

والسؤال الرئيسى الذى تدور حوله مشكلة الدراسة هو :

ما هو الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة ؟

ويتفرع من هذا التساؤل العديد من التساؤلات نذكر منها :

ما هى الفلسفة المثالية ؟

ومن هم أهم أعلامها ؟

ومتى نشأت وكيف تطورت ؟

وما رؤيتها للطبيعة الإنسانية والمعرفة والقيم ؟

وما هو تصورهما للتربية ؟

وما هو الفرق بين المثالية الحديثة والمعاصرة ؟

وهل قدمت المثالية المعاصرة تصوراً جديداً للوجود ، والإنسان ،

والمعرفة ، والقيم ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها تحاول الدارسة أن تجيب عليها فى

الصفحات التالية .

ثانياً : أهمية الدراسة :

ترجع أهمية الدراسة إلى أنها تحلل الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة ويمكن أن تتضح أهميتها فى ضوء المبررات الآتية :

- ١ - لم تلق وجهة نظر الفلسفة المثالية المعاصرة فى التربية القدر الكافى من الدراسة والبحث على عكس المثالية القديمة .
- ٢ - إن المثالية المعاصرة عالجت كثيراً من المشكلات التربوية مثل الطبيعة الإنسانية والمعرفة والقيم والحرية ، مما يؤكد على أهمية دراسة الفلسفة المثالية المعاصرة باعتبارها فلسفة تقدم نظرة شاملة للوجود الإنسانى والمعرفة والقيم .
- ٣ - يشتمل تيار الفلسفة المثالية المعاصرة على فلاسفة المثاليين المعاصرين الذين لم يلقوا إهتماماً بالبحث والدراسة لا من الناحية الفلسفية أو التربوية أمثال لالاند Lalande وبرنشفيك Brunschvicg رغم أن لديهم تصوراً جديداً للمثالية المعاصرة ، ومن هنا تأتى أهمية تناول فلسفتهم التربوية بالبحث والدراسة .
- ٤ - إن الإطلاع على كتب فلسفة التربية عند العديد من الباحثين المعاصرين تجد أن أبحاثهم وكتبهم قد أفاضت الحديث عن الفلسفات الأخرى مثل البرجماتية والمادية وأعرضوا عن المثالية وإذا أشاروا إلى المثالية فإنهم لا يشيرون إلا إلى المثالية القديمة خاصة عند أفلاطون ، وكأن أفلاطون هو الفلسفة المثالية رغم أن المثاليين المعاصرين لديهم فكر تربوى جاد ، فلا يوجد فيلسوف مثالى إلا وكتب عن التربية ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة .

ثالثا : حدود الدراسة :

تقتصر هذه الدراسة على تحليل الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة عند أربعة من ممثلى الفلسفة المثالية المعاصرة وهم برجسون Bergson وكروتشه Croce ولالاند Lalande وبرنشفاك Brunschvicg .

وذلك لأنه من الصعب أن تشمل الدراسة كل الفلاسفة المثاليين المعاصرين ؛ لأن ذلك يحتاج إلى فريق عمل ولا يستطيع أن يقوم به باحث واحد ، كما أن هؤلاء يمكن أن يقدموا التيار المعاصر فى مدرسة الفلسفة المثالية .

وقد اعتمدت الدراسة على تصنيف بعض باحثى الفلسفة مثل :

د . زكريا إبراهيم فى كتاب " دراسات فى الفلسفة المثالية المعاصرة " ود. عزمى إسلام فى كتابه " اتجاهات فى الفلسفة المعاصرة " وهنرى توماس فى كتابه " المفكرون من سقراط إلى سارتر " (١).

وقد كشفت الدراسات السابقة على أن الأربعة المذكورين أعلام من بين المثاليين المعاصرين ، ويعتبرون من أكبر ممثلى المثالية المعاصرة ، ومن هنا فإن الدراسة محاولة للكشف عن الفكر التربوى عند هؤلاء فقط ، وستقدم الدراسة بعد إستعراض الدراسات السابقة تعريفاً بهؤلاء الفلاسفة ، ورغم أن هؤلاء الفلاسفة الأربعة لكل منهم مذهب خاص به إلا أنهم جميعا يصنفون جميعا ضمن الفلاسفة المثاليين المعاصرين فلا يوجد مؤرخ أو كاتب إلا صنفهم ضمن الفلسفة المعاصرة التى هى فلسفة القرن العشرين .

(١) هنرى توماس " المفكرون من سقراط إلى سارتر " ترجمة عثمان نويه ، القاهرة ، دار مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٤٤٦ .

رابعاً : أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى محاولة التعرف على الفلسفة المثالية المعاصرة بصفة عامة والفكر التربوى المرتبط بها خاصة وذلك من محاور متعددة مثل :
الفلسفة المثالية نشأتها وتطورها التاريخى .

الطبيعة الإنسانية والتربية فى المثالية المعاصرة .

نظرية المعرفة والتربية فى المثالية المعاصرة .

نظرية القيم والتربية فى المثالية المعاصرة .

من خلال دراسة المحاور السابقة يمكن الكشف عن الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة عند كل من هنرى برجسون وكروتشه ولا لاند وبرنشك باعتبارهم أشهر وأكبر ممثلى الفلسفة المثالية المعاصرة ، ورغم إتفاقهم على الإتجاه المثالى إلا أن لكل واحد منهم مذهبه الخاص به الذى يميزه عن غيره من الفلاسفة المثاليين المعاصرين ، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينهم ونقاط الضعف والقوة أيضاً خاصة فى المحاور السابقة .

ولذلك تهدف الدراسة إلى الكشف عن الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة خاصة عند أكبر ممثلى هذه الفلسفة من المعاصرين أمثال برجسون وكروتشه ولا لاند وبرنشك الذين بذلوا جهداً كبيراً فلسفياً وتربوياً عند تناولهم المحاور الفلسفية مثل المعرفة والإنسان والقيم . وتحاول هذه الدراسة أن تحلل نصوصهم الفلسفية وانعكاستها التربوية بغية عرض كل منهم عرضاً موضوعياً باستخدام المنهج التحليلى الفلسفى .

خامساً : منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على منهج التحليل الفلسفى وذلك تمشياً مع طبيعة الموضوع حيث أن هذا المنهج يعتمد على تحليل ومراجعة ووصف آراء الفلاسفة المعاصرين من المثاليين بحيث تتناول أفكارهم وأقوالهم تناولاً تحليلياً وفى بعض الأحيان نقدياً ، وذلك بغية اتخاذ موقف معين تجاه القضايا التربوية التى تتناولها الدراسة وهى الفكر التربوى عند الفلسفة المثالية المعاصرة كما وظفت الدراسة المنهج التاريخى فى بعض الأحيان وذلك للكشف عن جذور المثالية ، بدءاً من أفلاطون حتى كانط Kant وهيجل Hegel وأخيراً عند المعاصرين من الفلاسفة المثاليين مثل برجسون وكروتشه ولالاند وبرنشفك .

فهذه الدراسة فى فلسفة التربية وهى تجمع النشاط الفلسفى الذى هو بالدرجة الأولى (نظرى) والنشاط التربوى الذى هو أقرب إلى الأنشطة العملية ولذلك فهى تستخدم المنهج التحليلى الفلسفى ، بمعنى آخر أنها تستخدم ذلك المنهج فى تحليل النصوص الفلسفية والتربوية عند بعض الفلاسفة المثاليين المعاصرين ، وهو منهج يقوم على جهد عقلى لمناقشة وتحليل ونقد جملة المفاهيم الأساسية التى يركز عليها العمل التربوى مثل المعرفة - الطبيعة الإنسانية - الحرية - الخبرة - الثقافة - القيم - الحياة - الخير - الشر هذه المفاهيم وغيرها من المفاهيم الفلسفية ، كما وظفت الدراسة أيضاً المنهج التاريخى وذلك للكشف عن جذور الفلسفة المثالية .

سادساً : الدراسات السابقة :

من الضروري للباحث أن يستعرض البحوث التي سبق دراستها فى موضوع بحثه ، وذلك للتعرف على أهم اتجاهات هذه البحوث ومدى ما وصلت إليه من نتائج ، لتكون هذه النتائج نقطة بداية للبحث الحالى ، فما هى الدراسات السابقة فى الفلسفة المثالية المعاصرة ؟ لابد من الإشارة إلى أن الفلسفة المثالية المعاصرة لم تلق إهتماماً كبيراً من الباحثين على خلاف ما يتضح فى المثالية القديمة والحديثة وإن وجدت بعض الدراسات التى تتعرض للفلسفات المعاصرة من وجودية وبرجماتية وتحليلية وماركسية ، فإنها تشير إلى المثالية بصفة عامة مثل كتب تاريخ الفلسفة .

إن معظم الدراسات السابقة التى تناولت المثالية المعاصرة كانت دراسات فلسفية فقط ، ولم تتعرض للمثالية من الناحية التربوية ، ومن أشهر هذه الدراسات السابقة التى لابد من الإشارة إليها ما يأتى :

١ - دراسات فى الفلسفة المعاصرة : (١) .

وهى دراسة تتناول الفلسفات المعاصرة بصفة عامة من وجودية وبرجماتية وتحليلية ومثالية وغيرهم . وهذه الدراسة تتناول المثالية المعاصرة عند كل من كروتشه وبرنشك ولالاند مبينة آراء كل منهم فى المباحث الفلسفية ، وهى تتكون من ثلاثة فصول : الأول : يشير إلى آراء برنشك Brunschvicg الفلسفية وأهم مؤلفاته وتطوره الروحي ، ورفضه للميتافيزيقا التقليدية ، وموقفه من الوعي الدينى والحياة الروحية والخلقية ، وقيمة العلم .

(١) زكريا إبراهيم " دراسات فى الفلسفة المعاصرة " القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٦٨ م .

وفى الفصل الثانى : أندريه لالاند Lalande من العقلانية العلمية إلى المثالية الأخلاقية ، وموقفه من التطور ، وإنتاجه الفكرى .

وفى الفصل الثالث : كروتشه Croce بين الهيجلية المحدثه والمثالية التاريخية ، وتشير هذه الدراسة الى إنتاج كروتشه الفكرى ، وموقفه من الفلسفة الهيجلية والفلسفة بصفة عامة ، وفلسفة الفن ونظرية المقولات .

وهذه الدراسة تعرض بعض آراء كروتشه ولالاند وبرنشفاك فى الفلسفة وهى وإن كانت دراسة جادة وعلى جانب كبير من الأهمية إلا أنها دراسة فلسفية خالصة ، لم تتعرض للجانب التربوى عند هؤلاء المثاليين المعاصرين .

٢ - المذهب فى فلسفة برجسون : (١)

تعرض هذه الدراسة المذهب الفلسفى فى فلسفة برجسون Bergson وتشمل خمسة فصول :

الأول : سمات المذهب الفلسفى عند بعض الفلاسفة .

الثانى : المنهج عند برجسون ويعرض فيه الباحث طريقة برجسون فى معالجة المشكلات الفلسفية والسيكولوجية والميتافيزيقية من خلال منهج برجسون الفلسفى .

الثالث : يعرض الباحث رؤية الديومومة ، والديومومة والمكان والحركة، والحياة النفسية ، وطبيعة التطور .

وفى الفصل الرابع : الحركة الموجهة فى إنشاء المذهب ، ويعرض نظرية الوجود ، والفلسفة والعلم ، والفلسفة والدين ، والفلسفة والحياة .

(١) مراد وهبة " المذهب فى فلسفة برجسون " القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠م .

وفى الفصل الخامس : مضمون المذهب فى ضوء المجالات الثلاثة ، الوجود والحرية والأخلاق ، ويعرض فيه موقف برجسون من الحرية والأخلاق والتصوف والنفس والجسم وغير ذلك من موضوعات فلسفية وهذه الدراسة لم تتعرض أيضا لفكر برجسون التربوى وخاصة أن برجسون قدم تصورا تربويا هاما فى معظم كتبه وبالتحديد فى كتابه منبع الأخلاق والدين .

٣ - فلسفة التاريخ عند كروتشه : (١).

هذه الدراسة تعرض فلسفة التاريخ عند كروتشه Croce بإعتبار أن كروتشه قد اهتم بهذا الفرع الفلسفى عن غيره من الفروع . ولهذا تركز هذه الدراسة على عرض فلسفة كروتشه التاريخية المثالية ، التى ترى أن التاريخ ليس مجرد رصد وثائق ولكنه نقد وتحليل لها ، وأن التاريخ لا يخضع لعدة عالية فى حركته كما ذهب هيجل ، وتشير هذه الدراسة إلى أهمية التاريخ ، والمعرفة التاريخية ، والأسس التى تقوم عليها فلسفة التاريخ عند كروتشه ، وهى لا تتعرض للفكر التربوى عند كروتشه .

٤ - كروتشه فيلسوف التاريخ والجمال : (٢).

تعرض هذه الدراسة فلسفة كروتشه التاريخية والجمالية ، فإذا كان كروتشه قد اهتم بالتاريخ فإنه يعد من كبار مؤسسى علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة ، وقد تعرضت هذه الدراسة لحياة كروتشه

(١) خدام لطفى قدورة " فلسفة التاريخ عند كروتشه " رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٦ .

(٢) عبد الرحمن بدوى " كروتشه فيلسوف الجمال والتاريخ " المعهد الايطالى للثقافة ، ١٩٦٠ .

الروحية وتطوره الفكرى وتصوره المثالى للتاريخ والجمال ، وهذه الدراسة وإن كانت ذات أهمية إلا أنها لا تتعرض لموقف كروتشه من بعض القضايا التربوية .

٥ - برنشفك وباشلار بين الفلسفة والعلم: (١).

هذا البحث مكون من مقدمة وخاتمة وبابين ، يتضمن كل باب ثلاثة فصول ، فجاء الفصل الأول ليعالج مشكلة المعرفة العلمية عند برنشفك، نظرا إلى أن دراسة المشكلة الا بستمولوجية تعد من الدراسات الأساسية التى انشغلت بها الفلسفة ، كما يناقش الباحث مفاهيم المكان والزمان والعلية وغيرها من إطارات المعرفة .

والفصل الثانى يتناول الفلسفة المثالية النقدية لدى برنشفك من خلال فلسفة برنشفك المثالية التى تنطلق من روح العلم المعاصر وخاصة من مسائل الفيزياء والرياضة ، كما أنها مثالية نقدية تستلهم روح كانط وهيجل .

وفى الفصل الثالث يناقش الباحث موقف كل من برنشفك وباشلار من مشكلات العلم المعاصر من خلال مشكلات العلم المعاصر مثل مشكلة النسبية ومشكلة الضوء والكوانتم .

وموقف برنشفك وباشلار من تلك المشاكل التى يثيرها العلم المعاصر . ويتناول الفصل الرابع من الباب الثانى نظرية المعرفة العلمية عند باشلار والفصل الخامس يتناول الباحث عدة قضايا تتعلق بالعقلانية

(١) السيد شعبان حسن " برنشفك وباشلار بين الفلسفة والعلم " لبنان ، دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م .

العلمية لدى باشلار والفصل الأخير تحت عنوان باشلار بين الفكر العلمى والفكر الفلسفى وأخيراً خاتمة الباحث لتبين المفاهيم الفيزيائية المعاصرة .

واستهدفت هذه الدراسة تناول فلسفة برنشفك المثالية فى الفصول الثلاثة الأولى وفلسفة باشلار فى الفصول الثلاثة الأخيرة ، فجاءت الفصول الثلاثة الأولى لتبين نظرية المعرفة عند برنشفك من خلال التأثير الكانطى على برنشفك وخاصة دور المعرفة الرياضية فى فلسفة برنشفك ، وهذه الدراسة تتناول المثالية المعاصرة عند برنشفك بإعتبارها مثالية وضعية عقلانية تقوم على أساس من دراسة العلم وعلوم الرياضيات والفيزياء ، وهذه المثالية تقوم على تصور خاص للفلسفة بوصفها "معرفة للمعرفة" وعلى ذلك يوحد برنشفك بين المعرفة والوجود بنوع من الحدس الفلسفى (١).

وهذه الدراسة تؤكد على فلسفة برنشفك المثالية وقيمة العلم فى الفلسفة المعاصرة إلا أنها لم تعط إهتماماً بالجانب التربوى عند برنشفك فهى دراسة تؤكد على دراسة برنشفك دراسة فلسفية دون أن تتعرض للجانب التربوى عنده شأنها فى ذلك شأن الدراسات السابقة التى تناولت كروتشه وبرجسون ولالاند من الناحية الفلسفية ولم تتعرض لأفكارهم التربوية التى تسعى الدراسة الحالية إلى تناولها .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

سابعاً : أعلام الدراسة :

١- هنري برجسون : (١٨٥٩ - ١٩٤١)

ولد في باريس من أسرة يهودية قدمت فرنسا من إنجلترا كان في المدرسة الثانوية تلميذاً نابهاً أظهر استعداداً نادراً للعلوم ، ولكنه اختار الفلسفة وتخرج من مدرسة المعلمين العليا على يد أساتذة معروفين ^(١) ، منهم إميل برترو ونجح في مسابقة الأجر يجاسيون (١٨٨١) فعين مدرساً للفلسفة في مدارس ثانوية بالأقاليم ، ثم بباريس (١٨٨٩) حيث ذاع صيته بعد حصوله على الدكتوراة ، فعين أستاذاً في الكوليج دي فرانس (١٩٠١) حيث قضى خمس عشرة سنة يلقي المحاضرات أمام جمهور عديد معجب أشد الإعجاب ، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى أرسل بمهمة إلى أمريكا ، ولما كونت جمعية الأمم لجنة للتعاون الفكري مؤلفة من اثني عشر عضواً أنتخب هو رئيساً وظل يشغل منصبه هذا إلى سنة ١٩٢٥ ، ثم أصابه مرض أقعده إلى آخر حياته دون أن يحول بينه وبين العمل العقلي ^(٢).

بدأ برجسون مادياً على مذهب سبنسر Spencer ولكن التفكير في الحياة النفسية قاده الى إنكار قول الماديين : إنها مؤلفة من ظواهر منفصلة تتصل بموجب قوانين التداعي ، وإن هذه الظواهر من قبيل الظواهر الخارجية قابلة للقياس والحساب وجاءت رسالته للدكتوراة " محاولة في الوقائع المباشرة للوجدان " (١٨٨٩) معلنة لهذا الإنكار بقوة وبراعة لفتت الأنظار ، فتنفس الكثيرون الصعداء من أولئك المنقذين الذين كانوا

(١) زكى نجيب محمود ، وأحمد أمين " قصة الفلسفة الحديثة " القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٣ ، ص ٣١٦ .

(٢) يوسف كرم " تاريخ الفلسفة الحديثة " ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٤٤٢ .

يرضخون تحت كابوس الآلية والجبرية ، ومنذ ذلك اليوم اعتبر زعيما من زعماء الروحية ، ثم شرع يتعمق خصائص الروح والعلاقة بينهما وبين الجسم ، فوضع فى ذلك كتاب " المادة والذاكرة " وهو كتاب عسير الفهم فى بعض المواضع ، ورأى أن خصائص الحياة النفسية متحققة فى الحياة التامة أيضا . وأنه يستطيع أن يطبق نظريته فى الروح على الكون أجمع ، فكان هذا موضوع كتاب " التطور الخالق " (١٩٠٧) الذى كان له وقع عظيم ، ثم عكف على دراسة الأخلاق والدين ، وبعد ربع قرن بالتمام أخرج كتابه " ينبوع الأخلاق والدين " (١٩٣٢) . فكان وقعه أعظم ، فإنه يقيم فيه العقائد الميتافيزيقية على التجربة الروحية ، ويشيد بالتصوف المسيحى ، وتلك هى كتب أربعة رئيسية تحوى عرضا شاملا للمذهب يضاف إليها " كتيب فى الضحك " أو " محاولة فى دلالة المضحك " (١٩٠٠) وكتاب " فى الديمومة والتقارن " (١٩٢٢) وضعه بمناسبة نظرية اينشتين فى النسبية ومقالات ومحاضرات نشر بعضها بعنوان " الطاقة الروحية " (١٩١٩) ، والبعض الآخر بعنوان " الفكر والتحرك " (١٩٣٣) وفى هذا المجلد الثانى مقالات هامة ضرورية لتمام الوقوف على مذهبه وهى " الحدس الفلسفى " وإدراك الغير ومدخل إلى الميتافيزيقا .

(١٠) يوشنسكى " الفلسفة المعاصرة فى أوربا " ترجمة عزت قرنى ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس

الوطنى للثقافة ، ١٩٩٢ ، ص ١٧٦ .

٢ - بندتو كروتشه : (١٨٦٦ - ١٩٥٢) :

ولد بندتو كروتشه Corce عام ١٨٦٦ فى مدينة صغيرة فى مقاطعة "أكويلا" وكان الابن الأوحى لأسرة كاثوليكية محافظة ثرية وتلقى دراسة تامة فى الديانة الكاثوليكية أحدثت أخيرا فى نفسه رد فعل ودفعت به إلى الإلحاد إذ لا يوجد طريق وسط بين الجمود الدينى من ناحية ، والكفر المتطرف من ناحية أخرى ، فى بلاد لم تعرف الإصلاح الدينى من ناحية .

لقد كان كروتشه فى أول حياته تقيا ومتدينا جدا إلى درجة دفعته إلى الإصرار على دراسة كل موضوع دينى ، إلى أن بلغ أخيرا فلسفة هذا الدين ، وبطريقة لا شعورية إحتلت دراسته هذه مكان إيمانه (١) .

وفى عام ١٨٨٣ نزلت به ضربة قاسية ، كانت كفيلة أن ترده إلى إيمانه فقد وقع زلزال ودمر البلدة الصغيرة التى كان يعيش فيها وقضى على والديه وأخته الوحيدة ، ولبث هو نفسه تحت الأنقاض عدة ساعات، وكسر بعض عظامه ، وبعد عدة سنوات استرد صحته واستخدم الثروة المعتدلة التى خلفها له أبوه فى جمع مكتبة تعتبر من أفخم المكتبات فى إيطاليا ، وغدا فيلسوفا من غير أن يدفع ثمنا لفلسفته من الفقر والحاجة .

وحقق الحكمة القائلة بأن الحكمة خير إذا رافقها المال الموروث .

ظل كروتشه طيلة حياته طالبا ، محبا للآداب ، وقد دفع إلى دخول ميدان السياسة دفعا على غير رغبة منه عندما عين وزيرا للمعارف وقد يكون قبوله لهذا المنصب هو إضفاء جو من كرامة الفلسفة فى

(١) ول ديورانت " قصة الفلسفة " ترجمة فتح الله محمد ، بيروت ، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة ،

وزارة يتولاها وزراء من رجال السياسة المحترفين ، وإنتخب عضواً
فى مجلس الشيوخ ، وعضوية الشيوخ فى إيطاليا دائمة مدى الحياة ،
وبذلك أصبح كروتشه مثلاً فريداً فى عصره بأن جمع بين السياسة
والفلسفة وهو أمر غير مألوف فى روما القديمة وفريد فى أيامنا هذه،
ولكنه لم يوجه اهتماماً كبيراً للسياسة بل كرس معظم وقته لتحرير
مجلته العالمية المشهورة "لاكريتيكا" .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، أشعل كروتشه غضباً ورأى
فيها نزاعاً إقتصادياً يوقف تطور العقل الأوروبى ونموه وأن الواجب
كان يقضى بمنعها ، وأنها جنون وإنتحار على الرغم من أن الضرورة
دفعت بإيطاليا إلى الدخول فى هذه الحرب بجانب الحلفاء ، وبقي
بمعزل عن قومه وأصبح مكروهاً منهم فكان حظه بذلك مثل حظ
"برتراند رسل" فى إنجلترا ورومان رولان فى فرنسا لكن إيطاليا
صفحت عنه وغفرت له موقفه وعقد الشباب عليه آمالهم ، ورأوا فيه
مرشداً مستقيماً وفيلسوفاً وصديقاً . وأصبح منهم بمثابة المعهد العلمى
الذى لا يقل أهمية فى توجيهه عن الجامعات وقد قيل عنه أن تفكيره
سيبقى أعظم غزو فكرى للفكر المعاصر فلنبحث عن سر هذا النفوذ
الذى تمتع به كروتشه (١) .

(١) ول ديورانت المرجع السابق ص ٥٧٥ .

٣ - أندريه لالاند (١٨٦٧ - ١٩٦٣) :

عاش لالاند Lalande حياة طويلة خصبة - بلغت حوالى ستة وتسعين عاماً كرسها لخدمة الفكر فى الأوساط الجامعية بباريس ، وشغل خلالها منصب أستاذ المنطق وفلسفة العلوم بالسوربون أمداً طويلاً من الزمن ، وقد قدم لالاند إلى مصر ثلاث مرات ، قام خلالها بتدريس المواد الفلسفية بالجامعة المصرية القديمة ، فخرج على يده الرعيل الأول من المشتغلين بالفلسفة فى جامعاتنا الحالية وقد وصفه أحد تلاميذه من الذين تتلمذوا على يديه فى مصر فقال : " إن جميع الذين عرفوه من أساتذة وطلاب يحتفظون له بأجمل الذكرى لسجاياه العالية ، وعنايته الأبوية بالطلاب فى القاهرة وفى باريس ، ومشاركته الفعالة فى إقرار التقاليد الجامعية فى الجامعة الناشئة على العموم ، وفى كلية الآداب على الخصوص (١) . ولقد خلف لنا أندريه لالاند Lalande تراثاً فكرياً هائلاً أفاد منه معظم مفكرى القرن العشرين ، ولا أحد يجهل ذلك المعجم الفلسفى الهائل الذى استوعب فيه لالاند معظم المصطلحات الفلسفية بطريقة نقدية ممتازة " فكان بمثابة أكبر دائرة معارف فلسفية " فى تاريخ الفكر المعاصر وقد ظهرت أول طبعة لهذا المعجم عام ١٩٢٦ ، بينما راح لالاند يستكمل قاموسه ، حتى تضاعفت كلماته فى الطبعة السابعة التى ظهرت عام ١٩٥٦ ، وليس " المعجم الاصطلاحي والنقدى للفلسفة " سوى مجرد ثمرة من تلك الثمار الفلسفية اليانعة التى قدمها لالاند لطلاب الحقيقة فى العالم أجمع ، بعد جهود طويلة بذلها

(١) زكريا إبراهيم " دراسات فى الفلسفة المعاصرة " مرجع سابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

ذلك المفكر الكبير خلال نصف قرن من الزمان أمضاه فى مساجلة أهل الفكر .
وتعقب ملاحظاتهم ، وتحرير التعريفات فى ضوء تعليقاتهم ... إلخ .
وحسبنا أن نرجع إلى محاضر " الجمعية الفرنسية للفلسفة لكى نقف
على المجهود الضخم الذى قام به لالاند فى تحقيق ضرب من "التواصل
الفكرى" بين أهل عصره من الفلاسفة والمفكرين .
وقد نشر لالاند عام ١٩٢٩م كتاباً هاماً فى فلسفة العلوم أطلق عليه اسم
" نظريات الاستقراء والتجريب " ولم يقتصر لالاند فى هذا الكتاب على
استعراض أهم النظريات التى قبلت فى تفسير " المنهج الاستقرائى " بل
قد حاول أيضاً أن يقدم لنا نظرية جديدة فى الاستقراء ، فجعل من
"التعميم" دعامة للمنهج التجريبي بصفة خاصة ، ولل فكر الإنسانى بصفة
عامة ، ثم عاد لالاند إلى رسالة قديمة كان قد تقدم بها لنيل درجة
الدكتوراة فى الفلسفة عام ١٨٩٩م فنقحها وعدل منها ونشرها عام
١٩٣٠ تحت عنوان " الأوهام التطورية " .
وقد هاجم لالاند فى هذا الكتاب نظرية اسبنسر Spencer فى التطور ،
وراح يحاول أن يفسر لنا الكثير من الظواهر البيولوجية والأخلاقية
والاجتماعية ، بالرجوع إلى مبدأ فلسفى جديد أطلق عليه اسم مبدأ "
التمثيل " Assimilation وهو المبدأ القائل بأن الأشياء لا
تفسر إلا بردها إلى ضرب من الوحدة .
وكذلك نشر لالاند Lalande أثناء إقامته بمصر مجموعة من
المحاضرات تحت عنوان " سيكولوجية أحكام القيمة " سنة (١٩٢٩) ؛
وكان آخر كتاب ظهر له هو مؤلفه المسمى باسم " العقل والمعايير "
"Raison et Normes" سنة ١٩٤٨ وقد تضمن مجموعة من البحوث
والدراسات الهامة التى كان الفيلسوف قد تعرض فيها لمناقشة الكثير من

قضايا الميتافيزيقا ، والمعرفة ، وفلسفة العلوم ... إلخ ، هذا علاوة على الكثير من المقالات الفلسفية التي نشرها فيلسوفنا في العديد من المجالات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية خلال حياته الأكاديمية الطويلة (١) .

٤ - ليون برنشفك (١٨٦٩ - ١٩٤٤) :

ولد ليون برنشفك Brunschvicg في العاشر من نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، وتلقى علومه في مدارس العاصمة الفرنسية ، حيث أظهر نبوغاً كبيراً في الرياضة وعلوم الطبيعة وقد إهتم برنشفك بدراسة الكثير من أعلام الفكر الفرنسي ، فدرس مونتني Montaigne وديكارت Descartes وبسكال Pascal كما وجه الكثير من عنايته إلى دراسة اسبينوزا Spinoza ومعاصريه وقد وصل برنشفك إلى منصب الأستاذية في السوربون ١٩٠٩ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٣٩ (بداية الحرب العالمية الثانية) ، فكان له تأثير كبير على الفكر الفرنسي في القرن العشرين حتى مطلع الحرب العالمية الثانية وقد كان لبرنشفك نشاط ثقافي ضخم داخل الجامعة وخارجها ، فكان هو رئيس لجنة مناقشة الأجر يجاسيون في الفلسفة طوال مدة بقائه بالسوربون ، كما كانت له مساهمات كثيرة في معظم المجالات الفلسفية التي كانت تصدر في فرنسا وعلى رأسها مجلة " الميتافيزيقا والأخلاق " فضلاً عن إشتراكه في الكثير من المؤتمرات العالمية للفلسفة التي عقدت خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وليس من شك في أن معظم أساتذة

(١) زكريا إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

الفلسفة الحاليين بالسوربون (وخارجها) قد تتلمذوا على يدي برنشك ، فهم قد وقعوا تحت تأثيره ، حتى وإن كانوا قد خالفوه في معظم الآراء التي كان يدعو إليها . وقد كان وصول الألمان إلى باريس في يونيو ١٩٤٠ نذيراً بإنهاء خدمة برنشك الاكاديمية بالسوربون ، فلم يلبث الفيلسوف الفرنسي الكبير أن اعتزل بجنوب فرنسا ثم إستقر في خاتمة المطاف بأكس لبيان Aix-Les-Bains حيث وافته المنية في ١٨ يناير عام ١٩٤٤ .

وقد تميز إنتاج برنشك Brunschvicg بالخصوبة والتنوع ، فكانت له مؤلفات في تاريخ الفلسفة ، ودراسات في تاريخ العلم وكتابات مذهبية في بعض المشكلات الفلسفية الهامة ... إلخ .

وربما كانت أهم دراسات برنشك التاريخية كتابه " اسبينوزا ومعاصروه " (سنة ١٩٢٤) ، وكتابه " بسكال " (سنة ١٩٣٢) وكتابه " ديكارت " (عام ١٩٣٧) ، ثم دراسته " ديكارت وبسكال كقارئين لمونتني ، (سنة ١٩٤٢) وأخيراً الجزء الاول من " كتاباته الفلسفية " التي ظهرت بعد وفاته ، وعنوان هذا الجزء : إنسانية الغرب : ديكارت اسبينوزا ، كانط " (سنة ١٩٥١) . وأما أهم كتبه المذهبية فهي : " جهة الحكم " (سنة ١٨٩٧) ، " والمدخل إلى حياة الروح " ، (سنة ١٩٠٠) ، و " المثالية المعاصرة " (سنة ١٩٠٥) و " معرفة الذات " (سنة ١٩٣١) و " عصور الذكاء " (سنة ١٩٣١) و " ميراث الألفاظ وميراث الأفكار " (سنة ١٩٤٥) ، وأخيراً الجزء الثاني من كتابات فلسفية تحت عنوان " إتجاه المذهب العقلي " (سنة ١٩٥٤) ، وأما أهم كتبه النقدية التاريخية فهي : " مراحل الفلسفة الرياضية " (١) .

(١) المرجع السابق ، ص ٨٢-٨٤ .

خاتمة الفصل

إستهدف هذا الفصل دراسة الإطار العام للدراسة وذلك من خلال

المحاور الآتية :

تحديد المشكلة وأهميتها وحدود الدراسة وأعلامها وأهدافها ومنهجها والدراسات السابقة لها ، ولما كان موضوع الدراسة الفكر التربوى فى الفلسفة المثالية المعاصرة فإنه كان لابد من الإشارة إلى أهم سماتها الفلسفية والتربوية وتطورها التاريخى بدءاً منذ تفلسف الإنسان القديم حتى ما وصلت إليه الفلسفة المثالية المعاصرة وذلك ما سوف تشير إليه الدراسة بإيجاز فى الفصل الثانى .